

الْفَضْلُ الْإِلَّهِيّ

موت النبيين عليهم الصلاة والسلام

(موت آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ)

غسل الملائكة آدم عند موته:

✽ عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا وأحدوا له، وقالوا هذه سنة آدم في ولده»^(١).
بأبي وأمي صفى الله ونيه آدم... مَنْ غسلته الملائكة وأحدوا له.

وصية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده:

✽ روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمْرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهِمَةً لَقَصَمْتُهُنَّ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّ بِهَا صَلَاةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَمْرُكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبَرِ»^(٢).

موت خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ :

✽ في كتاب «فتح الباري» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقبض روحه فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل الخليل يقبض روح خليله؟ - يعني أن الله خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله

(١) صحيح: رواه الحاكم عن أبي بن كعب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٤٨).

- وهل الخليل يقبض روح خليله؟
فقال الملك: وهل رأيت خليلًا يكره لقاء خليله!
فسكت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقبض روحه.

موت داود عَلَيْهِ السَّلَامُ :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ غِيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ الْأَبْوَابَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ» قَالَ: «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغَلَقَتِ الدَّارَ، فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ تَطْلُعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مَنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدَّارُ مَغْلُقَةٌ؟ وَاللَّهِ لِنَفْتَضِحَنَّ بِدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ فِي وَسْطِ الدَّارِ، فَقَالَ: دَاوُدُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا أَمْنَعُ مِنَ الْحِجَابِ، فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتِ وَاللَّهِ إِذْنُ مَلِكِ الْمَوْتِ، مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى قَبِضَتْ رُوحَهُ، فَلَمَّا غَسَلَ وَكَفَّنَ وَفَرَّغَ مِنْ شَأْنِهِ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظْلِي عَلَيَّ دَاوُدَ، فَأَظْلَمَتِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: اقْبِضِي جَنَاحًا».

قال أبو هريرة: فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ بيده: «وغلبت عليه يومئذٍ المضرحة»^(١).

موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سَبَأًا: ١٤).

تخيير الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عند الموت:

﴿ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرُضُ إِلَّا خَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ مَرَضُ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ، أَخَذَتْهُ بَحَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النِّسَاءُ: ٦٩).

(١) المضرحة: أي الصقور طوال الأجنحة.

فعلمت أنه قد خيّر»^(١).

✽ وعن علي عليه السلام قال: كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

✽ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، حتى جعل يلجلجها^(٣) في صدره، وما يفيض بها لسانه^(٤).

✽ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تُوفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذْهُ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَلَيْتَنِي فَأَمَرَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعًا أَوْ عُلبَةً - يَشْكُ عُمُرٌ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(٥).

✽ عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ^(٦) فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: «وَكَرَبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ، الْفَرْدُوسُ مَاوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَخْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التُّرَابَ^(٧).

يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفتتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التراب ورجعتم؟! يقول أبو سعيد الخدري: فما إن دفناه حتى أنكرنا قلوبنا- قست قلوبنا.

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن عائشة واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن علي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٦).

(٣) اللجلجة: هي التردد في الكلام، والمقصود تردد الكلام في صدره عند خروج الروح.

(٤) صحيح: رواه عن أم سلمة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٦٨).

(٥) صحيح: رواه البخاري عن عائشة.

(٦) أي: يغشاه الثقل شيئاً فشيئاً.

(٧) صحيح: رواه البخاري عن أنس.



obeikandi.com

obeikandi.com

✽ عن عمرو بن ميمون قال: «لما طعن عمر قال: يا بن عباس انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، فقال: الصنع؟ قال نعم، قال: قاتله الله! لقد أمرت به



معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام، فدخلوا عليه وفيهم رجل شاب فإذا إزاره يمس الأرض، فقال: يا بن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فمضى، وجاء، فقال: أذِنْتُ. فقال: الحمد لله؛ ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلّم وقل يستأذن عمر، فإن أذِنْتُ لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين».



وفاة ذي النورين رحمته الله :

✽ عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان: أن عثمان بن عفان رحمته الله أعتق عشرين مملوكاً له، ودعا سراويل فشدّها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر فإنك تظفر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه.



استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمته الله :

✽ عن محمد بن علي بن أبي طالب أن علياً لما ضرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبضه الله.



مقدام العلماء معاذ بن جبل رحمته الله :

✽ عن الحارث بن عميرة أنه قدم مع معاذ من اليمن، فمكث معه في داره وفي منزله، فأصابهم الطاعون، فطعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك رحمته الله في يوم واحد، وكان عمرو بن العاص حين خبر بالطاعون فرق فرقاً شديداً، وقال: يأيها الناس تفرقوا في هذه الشعاب، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزاً «أو طاعوناً» فقال له شرحبيل بن حسنة: كذبت، قد صحبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنت أضل من حمار أهلك. فقال عمرو صدقت.

❖ وقال معاذ بن جبل لعمر بن العاص: كذبت، ليس بالطاعون ولا الرجز، ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، اللهم فآت ال معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال: فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يكنى به، فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروباً، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له فقال عبد الرحمن: يا أبة: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٧).

فقال معاذ رحمته الله وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فمات من ليلته ودفن من الغد، ثم إن معاذاً رحمته الله اشتد به نزع الموت، فنزع أشد العالم نزعة، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه، فقال: «اخنقني خنقك، فوعزت لك إنك لتعلم أي أحبك».

❖ وعند ابن سعد: ثم طعنت امرأته فهلكتا، وطعن هو في إبهامه، فجعل يمسها بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة، فبارك فيها فإنك تبارك في الصغير حتى هلك».

وعن عمرو بن قيس: أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا، أصبحنا؟ قال: فقليل: لم نصبح، حتى أتى فقليل: له: قد أصبحت، قال: «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت، مرحباً، زائر مُغِب حبيب جاء على فاقة، اللهم إنك تعلم أي كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أي لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار^(١)، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر^(٢)، ومكابدة الساعات^(٣)، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر» وعلى هذا يعيش مقدم العلماء وعلى الشوق والحب لله يموت.



وفاة عبد الله بن مسعود رحمته الله:

❖ عن عبيد بن سعيد قال: بكى عبد الله عند الموت، فقليل له: أتبكي وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: وكيف لا أبكي وقد ركبت ما نهاني عنه، وتركت ما أمرني به، وذهبت الدنيا لحال بالها، وقد بقيت الأعمال قلائد في أعناق بني الرجال، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(١) كرى الأنهار: أي حفرها.

(٢) ظماً الهواجر: أي صيام نهار الصيف، وهي الأيام الشديدة الحر.

(٣) أي: قيام الليل.

(١) أي: أشد وجعًا.

عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ أَوَّلُ شَهِيدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْإِسْلَامِ:

❖ عن أنس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ».

فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بَخْ بَخْ؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَجْمَلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخْ بَخْ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ (١).

لله دره كم كان شوقه عارماً إلى الجنة.

حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»

❖ قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا طَعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ - وَكَانَ خَالَه - يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ قَالَ بِالْدم هَكَذَا، فَضَحَّحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» (٢).



مَوْتُ جُلَيْبِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»

❖ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان في مغزى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟»، قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً، ثم قال: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟»، قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً، ثم قال: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟»، قالوا: لا. قال: «لَكِنِّي أَفْقَدُ جُلَيْبِيبًا فَاطْلُبُوهُ». فطُلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: ﷺ: «قَتَلَ سَبْعَةٌ ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا

(١) صحيح: رواه مسلم عن أنس بن مالك.

(٢) صحيح: رواه البخاري عن أنس بن مالك.

✽ لما احتَضِرَ سفيان الثوري جعل يبكي، ف قيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء؛ فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

عن محمد بن عُبَيْد الطنافسي قال: كنت عند سفيان الثوري، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رُفِعت، قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي، فكتبوا ذلك، فَوُجِدَ كذلك في ذلك اليوم.



❖ قال أحمد بن حنبل: قدم الشافعي فوضعنا على المحجة البيضاء.
وقال: ما من أحد مس محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منة.
وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: «قال أستاذ الأستاذين، فيقال له: من هو؟ فيقول:
الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟
قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي».



❖ قال قتيبة بن سعيد: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

قال ابن عدي: سمعتُ عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد ابن إسماعيل إلى خَرَتَنك - قرية على فرسخين من سمرقند - وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم،

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي برزة.

فسمعتُه ليلةً يدعو، وقد فرغَ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك فما تم الشهرُ حتى مات، وقبره بخرتنك.



حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ:

✽ قال أخوه أحمد: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضعاً أخي أبو حامد، وصلى، وقال: عليَّ بالكفن، فأخذه وقبله، وتركه علي عيني، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجله، واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار».



الإمام محيي الدين أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري رَحِمَهُ اللهُ:

✽ الفقيه الشافعي، أستاذ المتأخرين وأوحدهم علماً وزهداً، تفقه على حجة الإسلام الغزالي، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء في نيسابور. توفي شهيداً في شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، قتله الغزّ لما استولوا على نيسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي، أخذته ودست في فيه التراب حتى مات.



بطل الإسلام وقاهر الصليبيين السلطان صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللهُ:

✽ قال القاضي ابن شداد في ذكر وفاة صلاح الدين: «لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه رَحِمَهُ اللهُ اشتد مرضه وضعفت قوته، ووقع في أوائل الأمر من أول الليل، وحال بيننا وبينه النساء، واستحضرتُ أنا والقاضي الفاضل تلك الليلة وابن الزكي، ولم يكن عادته الحضور في ذلك الوقت، وعرض علينا الملك الأفضل أن نبني عنده، فلم ير القاضي الفاضل ذلك رأياً، فإن الناس كانوا في كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة، فخاف ألا ننزل فيقع الصوت في البلد، وربما نهب الناس بعضهم بعضاً، فرأى المصلحة في نزولنا واستحضر الشيخ أبي جعفر إمام الكلاسة، وهو رجل صالح يبيت في القلعة، حتى إذا احتضر - رحمة الله عليه - حضر عنده، وحال بينه وبين النساء، وذكره بالشهادة وذكر الله تعالى، ففعل، ونزلنا وكلُّ يود فداءه بنفسه، وبات في تلك الليلة - رحمة الله عليه - على حال المنتقلين إلى الله تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ

عنده القرآن، ويذكره بالله تعالى، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع لا يكاد يفيق إلا في الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾.

سمعه يقول - رحمة الله عليه - وهذه يقظة في وقت الحاجة وعناية من الله تعالى به، فله الحمد على ذلك، وكانت وفاته - رحمة الله عليه - بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع وعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الشمس فحضر. وفاته - رحمة الله عليه - ووصلت وقد مات وانتقل إلى رضوان الله ومحل كرامته. ولقد حكى لي أنه لما بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه... ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مكنّا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يلت به الطين، وغسله الدولعي الفقيه، وندبت إلى الوقوف على غسله، فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر». وهكذا مضى مجدد الجهاد في عصره إلى ربه متبسماً متهللاً الوجه متوكلاً عليه.



شيخ الإسلام مجدد عصر، ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

✽ مات شيخ الإسلام في سجنه بقلعة دمشق... دخل القلعة ورأى بابها فقال: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ تَوَكُّمٍ قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣).

✽ وقال: ما يصنع أعدائي بي، أنا جتني وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي، إن معي كتاب الله وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني عن بلدي فنفي سياحة، وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي، إن المحبوس من حبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه. وتفرغ شيخ الإسلام في سجنه للقرآن وقراءته، وجعل يقول «لو يعلمون ما أسدوا إلى من الجميل بسجنهم إياي في القلعة ما كافأهم عليها بملئها ذهباً».

✽ قال ابن رجب الحنبلي: «مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه،

ولم يفاجئهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين فانتھيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ (القصص: ٥٤-٥٥).



حافظ الدنيا وشيخ المحدثين الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ :

✽ قال السبكي في «طبقات الشافعية»:

رآه الوالد رَحِمَهُ اللهُ قبل المغرب وهو في السياق، وقال له: كيف تجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصَلِّ العصر؟ قال: بلى ولكن لم أُصَلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد رَحِمَهُ اللهُ عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك، ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل.



أسد بن الفرات العالم المجاهد رَحِمَهُ اللهُ

✽ كانت وفاة أسد بن الفرات أمير الجيش وقاضيه في حصار سرقوسة من غزوة صقلية سنة ثلاث عشرة ومائتين. لله دره من أمير جيش وعالمه وقاضيه، وهكذا يموت الربانيون.



داعية في حياته وبعد مماته:

الدكتور مصطفى سامح...

الحامد لربه في السراء، الصابر له عند الضراء، أُصيب بسرطان في المخ لمدة عامين، فصبر واحتسب، كانت دعوته من خلال حسن خلقه، وإيثاره إخوانه على نفسه، وتواضعه الجَم، وترطيب لسانه دومًا بذكر الله في المجالس، وتعلق قلبه بالمساجد، كان يوم موته كيوم العيد؛ من كثرة المشيعين لجنازته رَحِمَهُ اللهُ.

الفصل الثالث

أحوال الصالحات عند الموت

آسية بنت مزاحم زوج فرعون:

«اختارت القتل على الملك»

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التَّحْوِيل: ١١).

قال الحافظ ابن حجر: من فضائل آسية امرأة فرعون: اختارت القتل على الملك، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه.

قال ابن كثير: «روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي: كانت امرأة فرعون تُعَذَّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة».

قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها وانتزعت روحها.



عطر العمل الصالح يظهر عند موتها:

جيهان يحيى... فتاة مسملة صابرة، محتسبة أجرها عند مليكها الرحيم الوهاب، أخذت تُصارع المرض لمدة عامين، لم تَشْكُ، ولم تتضجر، وعند موتها رزقها الله النطق بالشهادتين، وحين صعدت روحها لبارئها امتلأ المكان برائحة المسك، طابت حية وميتة.



حفيدة أيوب:

الدكتورة/ دينا... فتاة طيبة المنبت، طاهرة القلب، أطلق عليها مَنْ حولها لقب (حفيدة أيوب) لروعة صبرها على البلاء، وإعجابهم بثباتها عند الضراء؛ حيث أصيبت

بفيروس في المخ وهي شابة ذات ست وعشرين ربيعاً، أقعدها طريحة الفراش مسبباً لها شللاً كاملاً لمدة خمس سنوات، ورغم ذلك لم يزل لسانها رطباً بذكر الله، وما كان على لسانها إلا كلمة واحدة «الحمد لله» كان لها نصيب كبير من بر والدتها، وكانت تحشى حين مرضها أن تكون عاقبة لأمرها التي تقوم على رعايتها وتمريضها.

لم يكن لقلبها تعلق بالدنيا، ورغم أنها قعيدة الفراش، إلا أنها سألت الله زيارة بيته الحرام، فاستجاب الله دعاءها، حيث تبرع لها أهل الخير بالعمرة، واستأجروا لها من يقوم على رعايتها ومعاونتها على أداء المناسك وشعائر العمرة، فأتمتها بحمد الله، وكان وجهها دائماً ينطق بعلامات الرضا، فلم تحزن ولم تجزع قط، ولم تشك من البلاء قط، ولم ينقطع عن لسانها قول: «الحمد لله»، ثم لاقت ربها، وقد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً.



ماشطة ابنة فرعون:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى^(١) من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم. فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس^(٢) فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فالقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مريض، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت».

قال ابن عباس: «تكلم أربعة صغار عيسى ابن مريم عليها السلام، وصاحب جريح،

(١) المدرى: هو أداة لتسريح الشعر.

(٢) بقرة من نحاس: إناء كبير كانوا يوقدون تحته ناراً حتى يحترق ويحمر ثم يلقون فيه من أرادوا.

وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»^(١).

(١) حسن: رواه أحمد عن ابن عباس، وحسنه الأرناؤوط في المسند.

الْفَضْلُ الْبَرَّانُ

أحوال العاصين عند الموت

هؤلاء المستراح منهم... تستريح منهم البلاد والعباد والشجر والدواب.. هؤلاء من فضحهم ميراثهم يوم موتهم.. من زرع الشوك لا يحصد الورد، ومن استنبت الحشيش لم يقطف الثمار، ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد، في الدنيا الهلاك والبوار، وفي البرزخ الحزني والعار، وفي الآخرة مصيرهم إلى النار.

إن السفاهة صيغت من خلائقهم لا ببارك الله في القوم الملاعين

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ (الزُّنُور: ٩٩-١٠٠).

سؤال الرجعة في الآية ليس خاصاً بالكافر، بل يعم كل مُفَرِّطٍ، وبهذا قال القرطبي وابن كثير وغيرهما.

وقال الشيخ السعدي في تفسير الآيتين: «ينجز تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله؛ فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها، وإنما ذلك كما يقول: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله. ﴿كَلَّا﴾ لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون. ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ أي: مجرد قول اللسان لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضاً غير صادق في ذلك؛ فإنه لو ردّ لعاد لما نهي».

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۚ﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿الزُّنُور: ١٠-١١﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، ليستعقب ويستدرك ما فاتته، وهيهات، كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه».

ثمود:

وأصبحت ثمود في اليوم الأول من أيام النَّظْرَةِ ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل، وهو يوم الجمعة ووجوههم حمرة،
وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا من يوم الأحد
تحنطوا وقعدوا ينتظرون نعمة الله وعذابه، عيادًا بالله من ذلك، لا يدرون ما يفعل بهم، ولا
كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس، فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من
أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت الأنفس في ساعة واحدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَنَّتِيمِينَ﴾ (الاعراف: ٧٨).

صرعى: لا أرواح فيهم.



لما استكبر وادعى الربوبية، عاقبه الله بأضعف شيء، بالعوضة في منخره الذي هو علامة العزة، فانظر كيف أذله الله؟.

وظلوا يضربون رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه، وضرب بهما رأسه... ألا بعدًا للنمرود ومن على شاكلته.



ضرب جبريل وجوهمهم، فطمس أعينهم وغارت بالكلية، ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤَنكَهَ أَهْوَى﴾ (النجم: ٥٣).

أهوى: بها منكسة عاليها سافلها.

﴿قَالَ تَجَالَى: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾﴾ (هؤلا: ٨٢).

﴿وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾﴾ (النمل: ٥٨).

أهلكهم الله بالمطر المغرق والماء الدافق لتطهير الأرض من ذلك الدنس الذي كانوا فيه، والوحل الذي عاشوا وماتوا فيه.



مدين قوم شعيب:

كان أهل مدين كفارًا يقطعون السيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان، كذبوا نبيهم شعيبًا فكانوا خاسرين، ﴿قَالَ تَجَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾﴾ (الشعرا: ١٩٨).

﴿وَقَالَ تَجَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾﴾ (الانجاف: ٩١).

سلط الله عليهم الحرّ سبعة أيام، فخرجوا من البيوت، فأظلمت سحابة، فاجتمعوا تحتها، فرجفت بهم الأرض من تحتهم، وأخذتهم الصيحة من فوقهم. قال ابن كثير: «جمع الله عليهم أنواعًا من العقوبات، وصنوفًا من المثلات، وأشكالًا من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات؛ سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخذت الأصوات، وظلة أرسل عليهم منها شرر في سائر أرجائها والجهات».

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾

(الانجاف: ٩٢)

تطوى صفحتهم مُشَيَّعة بالتبكي والإهمال، خلت منهم الدُّور، كأن لم يكن لهم فيها دور، وكأن لم يعمروها حينًا من الدهر، مَضَوْا مشيعين باللعنة، طُوِيَتْ صفحتهم السوداء في الوجود، وصفحتهم في القلوب ﴿أَلَا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ﴾ (هؤلا: ٩٥).



فرعون لعنه الله:

كيف كانت نهاية هذا الطاغوت المطموس المتعجرف المتكبر الذي كان يشمخ بأنفه، فيطأطأ له الملاء، وهو أضل وأزهد من أن يحس به الوجود؟

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذ من حماء البحر، فأدسه في في فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة» ^(١).

تطاول فرعون وقال: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى...﴾ (٣٨: القصص). وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (التأنيث: ٢٤).

فكان الهوي إلى الأعماق والأغوار، وتنن الطين في فمه يوم الغرق جزاء للقول الفاجرة.



قارون ونهاية البطر والاستعلاء الخسف به:

أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس، قال: كان موسى يقول لبني إسرائيل: «إن الله يأمركم بكذا، حتى دخل عليهم في أمواهم، فشق ذلك على قارون، فقال لبني إسرائيل: إن موسى يقول: من زنى رُجم، فتعالوا نجعل لبغي شيئاً حتى تقول: إن موسى فعل بها، فيرجم فنستريح منه، ففعلوا ذلك، فلما خطبهم موسى قالوا له: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، فقالوا: قد زنيت، فجزع، فأرسلوا إلى المرأة، فلما جاءت عظم عليها موسى، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت، فأقرت بالحق، فخر موسى ساجداً يبكي، فأوحى الله إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، فأمرها، فخشفت بقارون ومن معه».

قال ابن كثير: خسف به إلى الأرض السابعة.

وقال تعالى: ﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١).

قال قتادة: ما أغنى عنه ماله وما جمعه، ولا خدمه ولا حشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصراً لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا غيره.

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد وغيرهما عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٥٣).

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : رماه الله بالعدسة فقتلته، فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أتن، وكانت قريش تتقي هذه العدسة، كما تتقي الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكم، ألا تستحيان أن أبكما قد أتنن في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه لأعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رمهوا عليه بالحجارة.

هكذا كانت النهاية التتة لهذا التتت النجس.

أما زوجته أم جميل - بل أم قبيح - فقد قال مرة الهمداني: «كانت أم جميل تأتي كل يوم من الحسك^(٢) فتطرحها في طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حُرمة أُعْيَتْ، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها» خنقها الله بحبلها.

ميتة مزرية مشرة للسخرية.



(١) الخِزْمَةُ.

(٢) الشوك.

كسرى ملك الفرس مَزَّقَ الله ملكه وقتله

لما أرسل إليه النبي ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قرأه مَزَّقَهُ وشقه، وقال: يكتب إليَّ بهذا وهو عبيدي، فدعا عليه النبي ﷺ، وقال: «مَزَّقَ الله ملكه». فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله.



Obaikanda.com

obeikandi.com

الْفَضِيلُ الْخَامِسُ

هذا ما رأيته في أحوال الموتى

لقد تعلمت تغسيل وتكفين الموتى منذ أكثر من عشر سنوات، ورأيت في خلال هذه المدة العجب العجائب، وتعلمت الدروس التي لم أسمعها بأذني؛ ولكن رأيته بقلبي، ورأيت علامات حسن خاتمة، وعلامات سوء خاتمة. ومن هذه العلامات:

فرج الله كربك:

✽ رأيت امرأة يفوح منها مسك أثناء الغسل، فسألت أهلها: ماذا كانت تفعل؟ وكان الجواب: أنها كانت تفك كُرب المسلمين. فتذكرت قول رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُربِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُربِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١).

سترك الله في الدنيا والآخرة:

✽ فتاة كان عمرها ثمانية عشر عامًا، تقول عنها أمها: كل أم تعلم ابنتها، وأنا الأم التي علّمها ابنتها كيف أقرأ القرآن، علمتني الأذكار، علمتني كيف أحب الله، ذات ليلة جلست تسبح، فسمعت صوتًا في الشارع، فاندفعت لتشاهد ما يحدث، فهوت في الهواء، واستقامت وهي تهوى ونزلت على قدميها، ثم على هيئة السجود، وليس بها إلا كسر بالساق فقط، وملابسها تغطيها، سترت نفسها في الدنيا فسترها الله عند الممات.

إن الأبرار لفي نعيم:

✽ فتاة كان عمرها عشرين عامًا، كانت بارّة بأبويها جدًّا، توضأت يوم الجمعة وجلست تنتظر الأذان، فقرأت سورة الإخلاص، ولم تكملها، فاضت روحها، وعلى وجهها نور وازدادت جمالا وبهاء.

(١) صحيح مسلم: (٢٦٩٩).

جسد يتلألأ عند الموت:

✽ رأيت امرأة عمرها ثلاث وعشرون سنة، ماتت وهي ترضع طفلها، كانت تتلألأ نوراً، فسألتُ عما كانت تفعل، فشهدت أم زوجها -حماتها- بأنها كانت من حفظة القرآن الكريم، وكانت مختمرة، وكانت تتصف بحُسن الخلق، فتذكرت قول رسول الله ﷺ «أكثر كم إيماناً أحسنكم أخلاقاً» اللهم اجعلنا منهم.

المبطون شهيد:

✽ فتاة كان عمرها أربعة وعشرين عامًا، أصيبت بالسرطان لمدة عامين، فكانت تحضر مجالس العلم، وكتبت دروساً عن الصبر والاحتساب، وقامت بإلقائها إخلاصاً، وتقول: إنما أغرسها في نفسي أولاً، وأبثها في الآخرين، والحمد لله أن وهبني المرض نعمة منه، لأنني أكون بذلك مبطونة، فأسأل الله أن أكون مع الشهداء، ماتت وهي مبتسمة راضية بعد أن نطقت الشهادة ثلاث مرات.

امرأة أضاء لسانها:

✽ رأينا في فم امرأة ما يشبه قطعة القطن الأبيض، وعندما حاولوا نزعها لم تنزع؛ لأن المفاجأة أن لسانها مضيء، وقال أهلها: إنها كانت من الذكارات، التاليات لكتاب الله، ولم تذكر أحداً بسوء، ولم تكذب قط؛ لأن المسلم كالنحلة لا تأكل إلا طيباً، ولا تخرج إلا عسلاً، نَحْسِبُهَا كَذَلِكَ وَلَا نَزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحْداً.

مات وعلى وجهه ابتسامة الرضا:

✽ كان د. محمد مصطفى يتميز بحسن الخلق، محبوباً من الأهل والأقارب والجيران، مسارعاً في الخيرات، حريصاً على الصلاة في المسجد -ما استطاع إلى ذلك سبيلاً- قارئاً لكتاب الله، أصيب بالمرض فصبر واحتسب، ومات وهو يردد آيات من القرآن، وقال مغسلوه: رأينا على وجهه ابتسامة رضا، ووجدناه طاهراً نظيفاً تماماً.

حقائق وأوهام:

✽ كان د. مصطفى عمارة أستاذي، وكنتُ كلما حكيت له عن (هذا ما رأيته) يقول لي: يُحِيلُ اليك، أو تنوهمين ذلك في أثناء الغسل.

نفذ أمر الله في ابنه (أيمن) وكان ابناً باراً، أصبح -وقد قام الليل- صائماً، ثم توجه للوائح ليقوم بأعمال خير هناك، فأصيب في حادث وتوفي، وقد قام د. المسيّر بغسله، وكان أيمن رافعاً السبابة من اليدين على هيئة الشهادة.

متى اللقاء؟

❖ ولا يفوتني هنا أن أذكر أختي -رحمها الله- حيث توفيت وعمرها خمسة وثلاثون عاماً كانت من المتصدقات، بارة بوالديها، تتميز بحسن الخلق، أصيبت بالسرطان فصبرت واحتسبت راضية مطمئنة بقدر الله وفضله، وفي يوم وفاتها، استيقظت لتسأل: كم الساعة؟ وتكرر هذا السؤال مراراً، وكلما أجبنا عليها تقول: «لسه بدري»، فنسألها: عن ماذا؟ فتصمت، وكأنها في انتظار لقاء تشتاق إليه، حتى توفيت حوالي منتصف الليل.

أنا مؤمنة وموحدة بالله

❖ ولن أنسى جدتي -رحمها الله- التي بلغت من العمر خمسة وتسعين عاماً، ومع ذلك لم تغب عن الوعي لحظة، ولم يذهب عقلها لحظة، وإذا مزحت معها وقلت لها: أتعرفيني؟ تقول: أنا لم أكل حراماً قط، لا في بيت أبي ولا في بيت زوجي، فكيف يذهب عقلي ولا أعرفك!

وعند الاحتضار وقف أبناءها حولها، وفجأة نظرت للباب وقالت: ادخل، فنظروا فلم يجدوا أحداً، فقالت: اجلس، ولم يجدوا أحداً، ثم قالت: أنا مؤمنة وموحدة بالله، قالتها ثلاثاً، ثم قالت: لا إله إلا الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ **اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝** وفاضت روحها.

إذا أحب الله عبداً استعمله

❖ وأختم ما رأيت بالحييتين اللتين نسأل الله أن تكونا من الشهداء -الحاجة زينب أم سيد، وزينب أم نادر- اللتين كانتا تعملان معي في بحث الحالات والتوزيع منذ سنوات بدون أجر، وكانتا تسألان سؤالاً واحداً: ما معنى «إذا أحب الله عبداً استعمله» وعندما علمتا قالتا: اللهم استعملنا في الخير وتوفنا على طريق الخير، وارزقنا الشهادة، تعبت صحتهما، وهلكتا، ولم تتوانيا عن فعل الخير لحظة.



في شهر رمضان الماضي ليلة الخامس والعشرين، جمعنا مبلغاً من المال وعدد مائتين وخمسين (شنطة) رمضان، وأعدنا العدة للسفر إلى بني سويف لتوزيعها، تناولنا السحور، وأخذنا معها ابنتيهما «وفاء بنت أم سيد وشاهيناز بنت أم نادر» في سيارة أجرة «تاكسي» وأمامها سيارة نقل بها الطعام، وفي الطريق اتصلت بهن واحدة منا، فكان صوت أم سيد بعيداً كأنه من عالم آخر، فسألتهما: ما بك؟ قالت: أبداً، لقد ختمت القرآن الآن وأردد الدعاء لكم كلكم ولأولادكم.

بعد ذلك بدقائق انفجرت السيارة وتوفي السائق وأم سيد ووفاء ابنتها في الحال، ونقلت أم نادر وابنتها للمستشفى، وقال الأطباء إن نسبة الحياة للأم كبيرة، أما الابنة فنسبة الحياة خمسة بالمائة، توفيت الأم بعد أيام.

أما شاهيناز فقدت أمها، وذراعيها الثنتين، وفقدت عينها، وتشوهت أجزاء كبيرة من جسدها، ومع ذلك تقول: أنا لم أكن أريد السفر في تلك الليلة وأمي التي أصرت، ومع ذلك فأنا لا أندم على الذهاب، وأحمد الله على ما أنا فيه.

وعندما كانت في أسوأ حالات الحروق، وجميع جسدها ملفوف، كنا نناديها فلا ترد، وبعد فترة تقول كنت أصلي بقلبي، وأحمد الله على ما أنا فيه، وعندي ثقة في الله أنه سيعوضني خيراً، إما في الدنيا وإما في الآخرة.

من جدّ وجدّ ومن زرع حصد

وهذه نيللي قد بلغت من العمر ٤٢ سنة، وهي من عائلة ثرية جداً ومعروفة، لكنها لم تلتفت يوماً إلى هذا الثراء، ولم تغتر بمنصب عائلتها، وكانت متواضعة جداً ومحبة للفقراء كمحبتها للخير ولأهل الخير، وكانت معروفة بدفاعها عن سنة النبي ﷺ، وظلت مشغولة بذلك حتى جاءها الموت، وكانت جالسة مع مربيتها، فقالت لها: إني أحترق، فقلت لها: لا تقولي هذا، فقالت لها إني لا أمزح، فقالت لها: أطال الله في عمرك، فقالت لها: أشهد إلا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، لتموت على كلمة التوحيد.

قَالَ تَجَالَى: ﴿يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (الْبَقَرَةُ: ٢٧).

ماما هندة ونقابي:

لقد كنت في حقل الدعوة منذ سنين وكنت أتحرك بين المدارس والمعاهد مما جعلني أوّجل فكرة النقاب إلى وقتها المناسب، وكان بعض إخواني وأخواتي يحثونني على اتخاذ خطوة النقاب، حتى جاء ذلك اليوم الذي اتصلت إحدى صديقاتي وأخبرتني بوفاة ماما هندة التي كانت تتمتع بحسن الخلق ولين الكلام والصبر على البلاء، إذ ظل ولدها أربعين سنة مفقوداً وهي صابرة محتسبة، نحسبها كذلك، وكانت لا تفتر عن الدعاء للمسلمين والمسلمات، فذهبت إليها كي أكون عوناً لها في لقاء ربها، فوجدتها عوناً لي على طاعة ربي، فما إن وقفت في غسلها إلا وقد انتشرت رائحة عطور لم أشم مثلها قط، اتباني شعور غريب وصفاء، حتى شعرت أن الملائكة تحيط بي وبها في تلك اللحظة الحاسمة، وشعرت بأن الدنيا زائلة، ولا تساوي تلك اللحظة التي يقبل العبد فيها على ربه، فالتحذت القرار بارتداء النقاب ثم ارتديته والحمد لله.

وهؤلاء كانت خاتمتهم سيئة:

✽ رأيت امرأة وقد خرج لسانها وتدلّى إلى أسفل ذقنها، وأصبت برعبٍ شديدٍ من هول منظرها، ولم أسأل عما كانت تفعل حتى يومنا هذا. اللهم إنا نسألك العفو والعافية.

✽ رأيت امرأة أخرى يخرج من فمها براز، وعلمت بعد ذلك أنها ماتت ورأسها في مكان قضاء الحاجة، وأنها لم تسجد لله سجدة في حياتها قط، ولم تدع بيتاً إلا وخربته. اللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء.

✽ سمعت عن امرأة كنا نعرفها قبل الوفاة، وبعد الوفاة تغير لون وجهها إلى الأسود... فقد كان لها زوج مريض، وكانت تضع له الطعام وتتركه ليخدم نفسه، وتذهب إلى الدروس الدينية. فقد تركت الفرض، ولهت وراء ما ليس بفرض، فكان ما شوهدها عليها من علامات السوء.

